



المؤتمر القرآني الدولي الثاني
في هدايات القرآن الكريم



تَعْظِيمُ اللَّهِ تَعَالَى فِي هِدَايَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايا القرآنية بجامعة أم القرى

عنوان البحث

أثر تعظيم الله على آراء قريش شهاب في القضايا الاجتماعية
والسياسية من خلال تفسيره المصباح

اسم الباحث

أ.د/ محمد نجيب عبدالقادر

أ. د. محمد نجيب عبد القادر

أثر تعظيم الله على آراء قريش شهاب

في القضايا الاجتماعية والسياسية من خلال تفسيره (المصباح)

للشخص

حاولت هذه الدراسة الإسهام وبلورة الارتباط والعلاقة الموجودة بين تعظيم الله وصلاح الحياة، نظرًا لما حدث في هذا العصر من موجة إحادية عاتية، والتي أقامت عليه من مسوغات من القول بأن الإيمان بالله من شأنه أن يُعطل طاقات الإنسان عن العمل والإنتاج، وهو ما عبّرت عنه العبارة الشهيرة «الدين أفيون الشعوب». وستلور الارتباط والعلاقة بين تعظيم الله وصلاح الحياة من خلال معرفة أثر تعظيم الله على آراء وأفعال شخص معيّن. لذلك؛ تهدف هذه الدراسة إلى معرفة أثر تعظيم الله على أحد مفسري أرخبيل الملايو، وهو قريش شهاب مصنّف تفسير (المصباح).

تركز الدراسة على آرائه في بعض القضايا الاجتماعية والسياسية الموجودة في تفسيره. واعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي للمصادر العديدة من الكتب والمؤلفات والدوريات سواء كانت للمؤلف أو غيره، مع التركيز على المصدر الأساس وهو (تفسير المصباح).

وقد توصلت الدراسة إلى أنّ فكرة تعظيم الله تلعب دورًا مهمًا في تكوين الآراء الاجتماعية والسياسية عند شهاب. يتجلّى أثر فكرة تعظيم الله من حرية فكره وقوّة إرادته ووحدة فكره مع العلماء الآخرين. ومجمل تصوراته الفكرية حول القضايا الاجتماعية والسياسية لا تخرج عن دائرة المفسرين المحافظين على قداسة النصّ القرآني لكونه قد تأثر بفكرة تعظيم الله.

الكلمات المفتاحية:

تعظيم الله، قريش شهاب، تفسير المصباح، القضايا الاجتماعية، القضايا السياسية.

الشمس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،

أما بعد؛ فإن العلاقة بين تعظيم بالله وصلاح الحياة تغدو شبيهةً بأن تكون علاقة تلازم بين الطرفين، بحيث يكون الملزوم وهو تعظيم الله مفضياً إلى تحقق اللازم وهو صلاح الحياة. درج الأنبياء في دعوة أقوامهم إلى الإيمان بالله على أن يبسطوا لهم حياة المؤمنين فيما يسودها من السعادة وحياة الكافرين فيما يسودها من الشقاء، حملاً لهم على ابتغاء السعادة وتحاشي الشقاء من طريق الإيمان بالله وتعظيمه.

وفي هذا المعنى؛ يندرج الخطاب القرآني في تذكير الناس بما ثريت به حياتهم من الخير لما انتقلوا من الكفر والإيمان، وتحذيرهم من ضنك المعيشة إذا عرضوا عن الله، كما في قوله تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَنْخَظَّكُمْ النَّاسُ فَأَؤْتِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ بِنَصْرِهِ وَرِزْقِكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٦٦].

إن الآية تبين نعمة الإسلام على العرب، بعد أن دخل الناس في الإسلام أفواجاً أفواجا، ولا يقتصر الإيواء والنصر على ما كان بعد الهجرة مباشرة، بل يعم ما شمل العرب من خير عميم. فقد روي عن قتادة السدوسي في هذه الآية أنه قال: «كان هذا الحي من العرب أذل الناس ذلاً، وأشقاها عيشاً، وأجوعها بطوناً، وأعراها جلوداً، وأبينها ضللاً، من عاش منهم عاش شقياً، ومن مات منهم زوى في النار. يؤكلون ولا يأكلون، والله ما نعلم من حاضر أهل يومئذ من كانوا شرّاً منزلاً منهم حتى جاء الإسلام، فمكّن به في البلاد، ووسّع به في الرزق، وجعلهم ملوكاً على رقاب الناس، وبالإسلام أعطى الله ما رأيتهم، فاشكروا الله على نعمه، فإن ربكم منعم يحب الشكر، وأهل الشكر في مزيد من الله».

أيد الله - تعالى - المسلمين آنذاك بنصر النبي ﷺ، بل بكل العرب؛ إذ رفعهم من جهل إلى علم بالإيمان، ومن شظف العيش إلى عيش رفيع، حتى لقد قال خليفة رسول الله ﷺ: «وَتَأْلُمُونَ ضَجَائِعَ الصُّوفِ الْأَذْرِيِّ، كَأَنَّ أَحَدَكُمْ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ»^(١).

ومع كل ذلك، تأثر بعض المسلمين باتِّهامات غير صحيحة من أعداء الإسلام، يرمون الإيمان بالله بأنه غير متحضر، ويتهمون بأنه من منابع ضعف الأمة، وتخلفها بالعجز والإخفاق، ويعلنون ذلك في الفضائيات والكتابات والصحف. فيتأثر بهم من يسمع هذه الاتِّهامات، فيورث الأمة الإسلامية ضعف الثقة بدينها وأحكامه، كما أورثها ضعف الثقة بأنها خير أمة أُخرجت للنَّاس. فيزهد المسلمون إذا تكلموا عن دينهم ولم يفتخروا به لئلا يتهمون بأنهم متخلفون وغير متحضرين.

وهذا الأمر لا يجوز؛ لأنَّ الإيمان والتَّعظيم بالله أمرٌ لا مساومة عليه مهما قال القائلون، ومهما أثار الأعداء من الاتِّهامات. إنَّ هذا الأمر هو الأصل الصَّحيح والمنهج السليم لقيادة المسلمين إلى القوَّة والحضارة. وما اجتمع المسلمون إلا بالإيمان، فهو الذي أَلَّف بين قلوب المسلمين، كما قال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣]. إنَّ الإيمان بالله تعالى مبني على التَّعظيم والإجلال له عزَّ وجلَّ^(١)، قال الله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ [مریم: ٩٠]، قال الضَّحَّاك بن مزاحم في تفسير هذه الآية: يتشققن من عظمة الله عزَّ وجلَّ^(٢).

فقد ذكر المناوي في تعريف العبادة: أنَّها فعل المكلف على خلاف هوى نفسه تعظيمًا لربه. وقيل: أي العبادة هي تعظيم الله وامثال أوامره^(٣). فمن هذا التَّعريف تتضح أهمية تعظيم الله، وأنَّها العبادة التي خلقنا الله لتحقيقها. لذلك لا بدَّ لنا أن نقوم بالدراسة التي ستعين بيان جدارة فكرة التَّعظيم في حياة المسلمين لكي نستفيد منها، ونهتم بها في حياتنا اليومية.

وهناك آيات كثيرة في القرآن الكريم، إذا تدبَّرها الإنسان سيستشعر عظمة الله تعالى. مثلاً في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَنَعْلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزُّمَر: ٦٧]. من خلال هذه الآية، يشعر المتدبِّر بعظمة الخالق سبحانه، حيث تجلَّت هذه العظمة في هذا الكون الفسيح، فالله سبحانه هو الخالق الرَّبُّ العظيم، الذي من عظمته الباهرة، وقدرته القاهرة، أنَّ جميع الأرض يوم القيامة قبضة للرَّحمن، وأنَّ السماوات على سعتها وعظمتها مطويات بيمينه، فلا عظَّمه حقَّ عظَّمته مَنْ سَوَّى به غيرَه، ولا أظلم منه^(٤).

(١) تيسير الكريم الرحمن (٣/٢٥٩).

(٢) العظمة لأبي الشيخ (١/٣٤١).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف (٤٩٨).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (١/٧٢٩).

ففي الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يقبض الله الأرض، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض»^(١).

ومن هنا جاءت أهمية هذا البحث الذي سيكون مفتاحًا أساسًا لإدراك أهمية فكرة تعظيم الله من خلال دراسة مدى تأثيره على أفكار أحد العلماء في أرخبيل الملايو، وهو الدكتور محمد قريش شهاب. ومن جانب آخر؛ إنَّ هذا الجهد سوف يُعدُّ إسهامًا لإحياء الروح الإيمانية لدى نفوس أفراد هذه الأمة.

أهداف المقالة

وتهدف هذا البحث للوصول إلى الأهداف الآتية:

- ١- التعريف بتفسير المصباح ومؤلفه.
- ٢- التعرف على علامات تعظيم الله لدى قريش شهاب.
- ٣- الكشف عن تأثير فكرة تعظيم الله على قريش شهاب.

منهج الكتابة

اتَّبَعَ الباحثُ في إعداد هذا البحث المنهج الاستقرائي. وتعامل مع مصادر عديدة من الكتب والمؤلفات والدوريات، ولكن المصدر الأساس هو تفسير (المصباح)؛ لأنه يعكس حقيقة أفكار قريش شهاب، لا سيما أنَّ هذا التفسير يعدُّ أعظم مصنفات محمد قريش شهاب.

(١) الجامع الصحيح للبخاري، حديث رقم ٤٨١٢

التعريف بالتعظيم لغة واصطلاحاً

التعظيم لغة

العين والظاء والميم أصل واحد صحيح يدلُّ على كِبَرٍ وَقُوَّةٍ. فالعِظَمُ: مصدر الشَّيْءِ العظيم. تقول: عَظُمَ يَعْظُمُ عِظْمًا، وعَظَمْتُهُ أَنَا. فإذا عَظُمَ في عينيك قلت: أَعْظَمْتُهُ واستَعْظَمْتُهُ. ومُعْظَمُ الشَّيْءِ: أكثرُهُ. وَعَظْمَةُ الذَّرَاعِ: مُسْتَعْلَظُهَا. وهي العظيمة: النازلة المُلَمَّةُ الشَّديدة^(١).

قال الجوهري: والتعظيم: التبجيل. واستعظمه: عده عظيمًا. واستعظم وتعظم: تكبر. والاسم العظم. وتعاضمه أمر كذا^(٢).

وقال ابن منظور: العَظِيمُ الذي جَاوَزَ قَدْرَهُ، وَجَلَّ عن حُدُودِ العُقُولِ، حتى لا تُتَصَوَّرَ الإحاطةُ بِكُنْهِهِ وَحَقِيقَتِهِ^(٣).

التعظيم اصطلاحاً

تعظيم الله عزَّ وجلَّ: معرفة العظمة له سبحانه مع التذلل. والعظيم هو الذي يعظمه خلقه ويهابونه ويتقونه. فالعظيم: ذو العظمة والجلال في ملكه وسلطانه^(٤).

والعظيم اسم من أسماء الله، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥، الشورى: ٤].

قال الزَّجَّاج: والعظيم: المُعْظَمُ في صفة الله تعالى يفيد عِظَمَ الشَّانِ والسُّلْطَانِ، وليس المراد به وصفه بعظم الأجزاء؛ لأنَّ ذلك من صفات المخلوقين، تعالى عن ذلك علواً^(٥).

وهذا نتوصل أنَّ معنى تعظيم الله: هو معرفة العبد لعظمة الله تعالى، والخوف منه والتذلل له سبحانه. ولا يتحقَّق إلا بإثبات الصِّفات لله تعالى، كما يليق به سبحانه، من غير

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٣٥٥).

(٢) الصحاح (٥/ ١٩٨٨).

(٣) لسان العرب (١٢/ ٤٠٩).

(٤) اشتقاق أسماء الله للزجاجي (١/ ١١١).

(٥) تفسير أسماء الله الحُسنى للزجاج (١/ ٤٦).

تحريف ولا تعطيل، ولا تكيف ولا تمثيل، والذين يُنكرونها بعض صفاته تعالى، ما قدروا الله عزَّ وجلَّ حقَّ قدره، وما عرفوه حقَّ معرفته^(١).

يمكن أن نتصور حالة المعظم بالله كالإنسان الذي سمع وصفًا وصف به خالق السموات والأرض نفسه، أو وصفه به رسوله، فليملأ صدره من التعظيم، ويجزم بأن ذلك الوصف بالغ من غايات الكمال والجلال والشرف والعلو ما يقطع جميع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين، فيكون القلب منزهاً معظماً له جلَّ وعلا غير متنجس بأقذار التشبيه^(٢).

علامات تعظيم الله لدى شهاب قريش شهاب

إنَّ أهم وأنجح وسيلة للتعريف بعظمة الله وقدرته هو الاعتناء بمعرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العُلا. والأولى بالدعاة والمصلحين التركيز في دعوتهم على العناية بترسيخ معاني أسماء الله الحسنى وصفاته العُلا في قلوب ووجدان المسلمين. بسبب ذلك؛ كتب قريش شهاب كتاباً حول أسماء الله الحسنى المسمّى بـ (كشف الأسرار الإلهية: أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن)^(٣). فإنَّ هذا الكتاب يدعو قارئه إلى كشف الأسرار الإلهية (رؤية الله بعين البصيرة)، ومعرفة الله الذي غلبت رحمته غضبه، وغلبت مغفرته عذابه، وباب مغفرته مفتوح أبداً.

ودعا هذا الكتاب إلى العودة إلى عبودية ربِّ العالمين وإفراد الله وحده سبحانه وتعالى بالعبودية والألوهية. ويحتوي هذا الكتاب أيضاً على التفاصيل الجميلة والعجيبة عن تسعة وتسعين اسماً من أسماء الله الحسنى المشهورة. من أمثلة ذلك عندما شرح صفة (الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ)، قال شهاب: أنا أميل إلى القول بأنَّ الرَّحْمَنَ والرَّحِيمَ مأخوذان من الرَّحْمَةِ، ثم قال: ورحمة الله كاملة؛ لأنَّ رحمته تنشأ متى شاء تعالى، وكذلك رحمته تعالى شاملة؛ لأنَّها تشمل مَنْ يستحق الرَّحْمَةَ وَمَنْ لا يستحق، وتشمل أيضاً جميع أنواع الرَّحْمَةِ التي لا تُحصى ولا تُعد^(٤). وفيه أيضاً تفسير الإرشادات للتأسي بصفات الله العظمي والتخلق بأخلاقها أسماء الله سبحانه وتعالى^(٥).

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣/ ١٦٠).

(٢) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للشنقيطي (١١٠).

(٣) Menyingkap Tabir Ilahi: Asma alHusna dalam Perspektif alQuran
Muhammad Quraish Shihab

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

هذا الكتاب يدل على أن شهاباً له فكرة تعظيم الله؛ لأن منزلة التعظيم تابعة للمعرفة بالله. كما قال ابن قيم الجوزية: فعلى قدر المعرفة يكون تعظيم الرب سبحانه في القلب، وأعرف الناس به أشدهم له تعظيماً وإجلالاً^(١). حتى يمكن استحضار معاني أسمائه عز وجل في القلوب والحياة، فهو المتكبر القوي العزيز المهيمن الجبار الذي لا يُعجزه شيء، فهو على كل شيء قدير، يقول للشّيء: كن فيكون. إذا لم يكن لدى شهاب فكرة التعظيم فلم يحاول تأليف الكتاب الذي ينحو إلى معرفة الله وأسمائه.

من علامات تعظيم الله تعظيم كلامه، وتحقيق النصيحة لكتابه تلاوة وتدبراً وعملاً، وقد حقق سلفنا الصالح الواجب نحو كتاب الله تعالى من التعظيم والإجلال، حتى إن بعض السلف كانوا يكرهون أن يصغروا المصحف^(٢). ولذلك حاول شهاب تأليف كتب كثيرة حول القرآن وعلومه لدعوة المسلمين إلى العودة إلى القرآن وتعظيمه والتعايش في ظلاله. على سبيل المثال، كتب شهاب كتاباً سماه بـ (تطبيق تعاليم القرآن: أهمية ودور القرآن في حياة المجتمع)^(٣).

عدّ هذا الكتاب من أعظم مؤلفات محمد قريش شهاب في بداية الأمر. وتضمن أكثر من ستين مقالة وخطبة ألقاها منذ ١٩٧٥ إلى ١٩٩٢م في موضوعات مختلفة اشتملت القضايا والمشاكل التي تهم المجتمع آنذاك. سعى شهاب إلى بيان وبحث الطرق السهلة والفعالة لفهم القرآن الكريم. إلى جانب أنه بين وبحث عن المخرج من القضايا والمشاكل الاجتماعية والثقافية التي تهم المجتمع انطلاقاً من إحياء قرآنية بطريقة جيدة. وعلى الرغم من أن هذا الكتاب لم يتضمن جميع القضايا والمشاكل، إلا أنه كاف لإرشاد طلبة علوم القرآن والمسلمين إلى ما هو أبعد وأصوب في فهم وتحليل معاني القرآن.

يقول هووارد م فيديرسفيل: أن هذا الكتاب قد كُتب بأسلوب جذاب أعدّه العالم المسلم لعامة الناس، ليأخذوا المعاني الجديدة عن الدين. ثم قال: يُقدّم هذا الكتاب معالم في غاية الأهمية عن وظيفة الدين في حياة المسلم اليومية بإندونيسيا. وقد ركّز على المسائل التي تهم المسلمين في حياتهم المعاصرة مثل البيئة والصحة وغيرها. وختم الكتاب بالحديث عن تقدم إندونيسيا في المستقبل، مشيراً إلى أن البلاد المتقدمة عادة ما تقدم على ترك المبادئ والقيم والتعاليم الدينية، مستعيضةً بالقيم التي تفرزها الحداثة^(٤).

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٩٥).

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٤/ ٢٣٠).

(٣) Membumikan alQuran, Muhammad Quraish Shihab .

(٤) Kajian alQuran di Indonesia dari Mahmud Yunus hingga Qurays Shihab, Howard M. Federsipel p. 296-297

وهناك مصنفات أخرى لقريش شهاب تحث المسلمين على العودة إلى القرآن وتعظيمه، ومنها:

١- معجزة القرآن: انطلاقا من أبعاده اللغوية والإشارات العلمية والأخبار الغيبية.

٢- ثقافة القرآن: التفسير الموضوعي في خدمة قضايا الأمة

٣- تفسير القرآن الكريم: تفسير قصار السور من حيث ترتيب نزول الوحي

٤- لمحات من النور الإلهي الحياة مع القرآن

٥- نشر الرسالة الإلهية: القرآن والحياة الاجتماعية الديناميكية

٦- الخواطر: مكانة الوحي وحدود العقل في الإسلام

ومن خلال تلك المصنفات، تبرز فكرة تعظيم الله لدى شهاب ومحاولته ترسيخ هذه الفكرة على المسلمين في إندونيسيا. لا سيما الجهل والاعتقاد بالخرافات والمغيبات لم يزال سائدا بين العوام في المجتمع الإندونيسية.

إنَّ باب (تفسير القرآن) باب عظيم الشأن؛ لأنَّه يتعلَّق بالقرآن الكريم، ولا يزال المسلمون يقبلون على القرآن حتى قيام الساعة، يتلونه ويتدبرونه وينفذونه ويتحركون به ويعيشون في ظلاله. وهذا معناه: أن تظهر تفاسير للقرآن جديدة تناسب الزمان والمكان، بدون تفريق بين مؤلفيهم سواء أكانوا من أبناء العربية أو من العجم، غايتهم أن يفهم أبناء وطنهم ما في القرآن من التوجيهات الربانية والرَّسالة النبوية.

وكان من العلماء الذين قاموا بهذه المهمة، علماء من جنوب أرخبيل الملايو إلا أنَّ مؤلفاتهم لا تكاد تُعرف على المستوى العالمي، وإن كانت جهودهم في القرآن وعلومه وتفسيره عظيمة. ومن المحتمل أنَّهم لم يُعرفوا بسبب أن مؤلفاتهم لم تُكتب باللغة العربية أو باللغة الإنجليزية، بل كُتبت بلسان قومهم وهي لغة الملايو. ومن هؤلاء العلماء الدكتور محمد قريش شهاب الذي يُعدُّ من المفسرين المعاصرين في القرن العشرين في جنوب شرق آسيا، حيث له إسهامٌ خاصٌّ في الدِّراسات القرآنية وعلوم القرآن. فقد ألَّف تفسيرًا كاملًا للقرآن الكريم بعنوان «تفسير المصباح» الذي طُبِع في طبعته الأولى سنة ألفين، في خمسة عشر مجلدًا.

ولد الشَّيخ محمد قريش شهاب في رَفانج، جزيرة سولاويسي الجنوبية بإندونيسيا « Sulawesi Selatan Indonesia, Rapang » في اليوم السادس عشر من شهر فبراير ١٩٤٤ م. ووالده الأستاذ عبد الرَّحمن شهاب من العلماء البارزين في مجال التفسير وعلوم القرآن. ليس معروفًا فقط على مستوى سكان قريته، بل في المجتمع السلاويسي عامَّة^(١). وكما يقال: البيت هو المدرسة الأولى للأطفال، يقوم فيها الآباء والأمهات بتربية أولادهم حسب توجيهاتهم، فإنَّ الدكتور قريش شهاب قد تلقَّى علوم القرآن والتفسير على يدي والده في بداية الأمر، ثمَّ واصل دراسته في المرحلة الثانوية في معهد الأزهر بمصر. وبعد ذلك التحق بجامعة الأزهر الشَّريف حتى حصل على البكالوريوس، ثمَّ الماجستير، وأخيرًا الدكتوراه من كلية أصول الدين بقسم التفسير والحديث سنة ١٩٨٠ م^(٢).

(١) Membumikan alQur'an, Muhammad Quraish Shihab

(٢) Menyatakan Kembali alQur'an dan Umat. Menguak Pemikiran M. Quraish Shihab, Arif Subhan, p. 12

وبعد تخرجه من الأزهر تولّى مناصب متعددة في بلده إندونيسيا: محاضرًا في جامعة علاء الدين بأجوغ فادغ في إندونيسيا، ثم عميدًا في الجامعة الإسلامية الإندونيسية، وعيّن فيما بعد مديرًا لهذه الجامعة، وأخيرًا تولّى منصب سفير إندونيسيا لدى جمهورية مصر العربية^(١).

تلمذ محمد قريش شهاب على أيدي جمع غفير من جهازة العلماء الأفاضل في شتى فروع العلم وفنونه، مثل العقيدة والفقہ والحديث وغيرها، منذ أن بدأ دراسته في المرحلة الابتدائية إلى الجامعية، في بلاده وخارج بلاده، واستفاد منهم وانتفع بهم. فمنهم من تأثر به مدى حياته وكان له بمنزلة المربيّ منذ طفولته حتى كبره. ومنهم من تأثر به كثيرًا عند ما كان يتعلّم في المرحلة التعليمية والثقافية، وأكثر من تأثر بهم من شيوخه طوال حياته:

- ١- الحبيب عبد القادر بن أحمد فقيه: مدرس بمعهد دار الحديث الفقهية بمالانج جاوى الشرقية. درس شهاب عليه علوم التفسير والأخلاق والفقہ وبناء الشخصية العلمية.
- ٢- الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود: صاحب كتاب التفكير الفلسفي في الإسلام، والإسلام والواقع، وغيرهما. وهو أحد شيوخ الأزهر الشريف في عصره، وأحد أساتذته الكبار في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر الشريف بالقاهرة. وهو ممّن حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة السوربون بفرنسا في قسم الفلسفة.
- ٣- الشيخ أحمد الكومي الملقب بأستاذ الجيل: وهو أحد المدرسين في جامعة الأزهر الشريف. درس شهاب عليه علوم التفسير ومناهج المفسرين قديمًا وحديثًا، وأنواع التفسير وما يتعلّق بالتفسير. وأمّا سبب لقبه بأستاذ الجيل؛ فلأنه درّس ثلاثة أجيال؛ الجيل الأول هو جيل مدرسي شهاب، والثاني جيل شهاب، والثالث جيل طلاب شهاب^(٢).

تصنيف بعثير المصباح

كتب محمد قريش شهاب تفسيره (المصباح) باللّغة الإندونيسية، وكان اسمه: «تفسير المصباح: التّوصية والتّأثير وتناسب القرآن».

(١) Detik. www.detik.com/berita/17 February 1999.

(٢) محمد قريش شهاب منهجه وأفكاره في تفسيره المصباح: دراسة تحليلية نقدية لمحمد نجيب عبد القادر (٢٥-٢٧).

" Kesan dan Keserasian alQuran, Tafsir alMishbah: Pesan "

وبخصوص تسمية تفسير المصباح بهذا الاسم قال شهاب أنه مقتبس من قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور]، وذلك أن هداية الله تعالى لعباده بمثابة المصباح في الزجاج الذي ينير قلوب العباد. وكلمة "Pesan" معناها: أن القرآن وحي من الله تعالى، ويتضمن معنى الإرشاد للعباد. وأما كلمة "kesan" فمعناها: أن في تفسير المصباح نقولاً كثيرةً عن تفاسير العلماء السابقين سواء كانت في المراجع الأساسية أو الثانوية. وشهاب ينقل أقوال المفسرين من كتبهم بدون أي تعقيب أو تعليل في الغالب، وهذا معناه: أن شهاب يوافق على هذا التفسير. وأما إذا لم يوافق على قول بعض المفسرين فإنه يعقب عليه، ويُعَلِّه ويردُّ عليه في آخر النقل.

وسبب عدم التعقيب على ما نقله شهاب من أقوال المفسرين: أن المفسرين لهم رأي لا بد أن يحترمه الآخرون. وكل رأي يحتمل الصواب والخطأ، فمن منهج شهاب أن ينقل هذا الرأي بكامله احتراماً له^(١).

وأما كلمة "keserasian" فتعني التناسب أو المناسبات بين الآيات والسُّور، وقد بين شهاب في تفسيره تناسب الآيات والسُّور بعضها مع البعض. وكان الدافع لهذا أنه اطلع على الانتقادات الكثيرة التي أثارها المستشرقون حول هذا الموضوع. وزعموا أن بعض الآيات ليست لها علاقة بالآية التي تليها، وكذلك بين سور القرآن المختلفة. ومثلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية].

فقالوا: ما العلاقة بين الإبل والسَّمَاء والجبال والأرض في هذه الآيات. وانطلاقاً من هذه الادعاء وغيره، قرّر شهاب بأن الآيات والسُّور بينها تناسب، والعلاقة بينها وثيقة يعرفها علماء التفسير.

وقد قام الناشر "لينتيرا هاتي" «Lentera Hati» بجاكرتا بالتعاون مع المكتبة الإسلامية العامة "إيمان جاما" بطباعة هذا الكتاب. وصدرت الطبعة الأولى في شهر شعبان ١٤٢١ هـ الموافق لشهر نوفمبر ٢٠٠٠ م، ثم صدرت الطبعة الثانية في شهر رمضان المبارك ١٣٢٥ هـ الموافق لشهر نوفمبر ٢٠٠٤ م^(٢).

(١) محمد قريش شهاب منهجه وأفكاره في تفسيره المصباح: دراسة تحليلية نقدية (٤٥).

(٢) المصدر نفسه (٤٦).

تأثير تعظيم الله على قريش شهاب

إنَّ لتعظيم الله فوائد يجتنيها الفرد والمجتمع، ويتعظيم الله تعالى تحصل الخيرات، وتندفع الشرور والآفات. وترسيخ هذه التربية في النفوس، تعالج كثيراً من المشاكل الأمنية والاجتماعية والاقتصادية، بأيسر السبل وأقل التكاليف والأعباء. وفيما يلي أثر فكرة تعظيم الله على قريش شهاب:

١- حرية الفكر

إنَّ الفكر قد تتسلط عليه أسباب كثيرة تمنعه في البحث عن الحقيقة، وبالتالي يصل إلى أفكار وآراء مسبقة لا صلة لها بالحقيقة الموضوعية. وقد تكون تلك الأسباب داخلية من ذات الانسان كالهوى والشهوات وقد تكون الأسباب خارجية مثل العادات والتقاليد الاجتماعية المستحكمة أو المتسلطين من الطغاة.

الدعوة الاسلامية إنما جاءت لعرض حقيقة الإيمان على الناس، وفي نفس الوقت تدعوهم إلى أن يتحملوها بالنظر الحر لا بالتسليم من وراء العقل حتى يصير ذلك النظر الحر واجبا يتوقف عليه واجب الإيمان. هذا يناسب مع قول الجويني: «ذهب المحققون إلى أن «أول» واجب عليه «أي المكلف» النظر والاستدلال المؤديان إلى معرفة الصانع»^(١). إذا كان النظر الحر هو المدخل المطلوب في الإيمان، فإن كل الحقائق ترد بعد ذلك تكون فرعا لهذه الحقيقة الأولى.

فتعظيم الله وتوحيده حق توحيد سيحرر العقل في حركته الفكرية من كل الأسباب التي تعوقه عن التعامل الموضوعي على المادة المعرفة، وبالتالي يصل إلى النتيجة المرسومة دون توجيه من جهة خارجية عنها. أن تعظيم الله يقتضي الاتباع لأوامر الله وحده ومخالفة لما يدعوا إليه التشهي والخرافات الموروثة والأساطير. أن الاعتقاد تعظيم الله يصد الناس عن موارد الضلال، إذ يرجع الائتمار والانتهاة إلى أوامر الله لا إلى دواعي ميلها، فلا يكون سلطان يوجه الفكر إلى ما تريد أن تميل إليه. ويمكن أن ننظر هذا الأثر من خلال مناقشة شهاب حول نظام تعدد الزوجات.

نظام تعدد الزوجات شائع في كل شرائع وقوانين العالم وشعوبه متحضرة كانت أو غير متحضرة مثل الفرس والمصريين القدماء والشعوب الجرمانية والسكسونية. وما زال هذا

(١) الشامل للجويني (١٢٠).

النظام منتشرًا في الوقت الحاضر في بلاد الهند والصين واليابان وأفريقيا^(١). ولكن يزعم بعض الغربيين أن تعدد الزوجات ظلمٌ للمرأة، وهضمٌ لحقوقها، وإهدارٌ لكرامتها ووسيلةٌ لتسلط الرجل عليها من أجل إشباع شهواته. ويزعم أيضًا أن الزواج بأكثر من امرأة يكون سببًا في إثارة الخصام والنزاع بين أفراد الأسرة، وسيؤدي إلى تفكك الأسرة وتشرد الأطفال^(٢).

ولذلك؛ يرى الغربيون أن تعدد الزوجات لا تقوم له قائمة إلا لدى الشعوب المتأخرة في ميدان الحضارة والمدنية، وأن هذا النظام جديرٌ بالمنع منعًا تامًا.

ورد تشريع تعدد الزوجات في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَنْبَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُعَدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ آذَنٌ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾﴾ [النساء].

وعندما فسّر شهاب هذه الآية قال: جديرٌ بالذكر أن معنى هذا الأمر ليس أمرًا حقيقيًا بالتعدد من حيث وجوب العمل به، ثم قال: ولا نصدق الذين يقولون بأن التعدد أمرٌ من الله؛ لأنه بدأ من مثنى وثلاث ورباع، ثم إن خيف ألا تقسطوا فواحدة. وقال أيضًا: إن فكرة التعدد في الآية لا تنص على وجوبه؛ لأن فكرة التعدد قد وجدت وعُرفت في شرائع وعادات الأمم قبل نزول هذه الآية الكريمة^(٣).

والذي يجب أن يُعلم أن التعدد الذي تعقبه آثارٌ سيئة هو التعدد الذي كان فاعله ممن لا يتبع ولا يطيع أمر دينه ولا يلتزم بشروطه. فوجود انتهاك لأحكام وشرائع الدين في مسألة التعدد ليس دليلًا قاطعًا على بطلان ذلك الحكم، ولا سيما إذا كان ذلك الإبطال يعقب آثارًا سيئة على المجتمع. وهنا؛ لا بد أن نعلم أن المجتمع الذي ابتعد عن التعدد وعدّه من المساويء الاجتماعية، سواء كان ذلك في الشرق أو الغرب هو عادة مجتمع لا ينجو من انتشار العلاقات الجنسية المحرّمة في أوساطه، ولا يسلم كذلك من انتشار الأمراض الجنسية الفتاكة والأنكحة غير الشرعية فيه. ولمثل هذا الأمور نتائج وخيمة على المجتمع لا سيما بالنسبة للمرأة.

أن التعدد لا يسبب خسارة للرجل ما دام هذا الرجل قادرًا على استيعاب وتحقيق جميع شروطه، ولا يسبب كذلك للمرأة، خاصة إذا سبب التعدد من جهتها، كأن تكون مريضة غير قادرة على الوفاء بمتطلبات الزوجية أو عاقرا لا تنجب أو غير ذلك من الأسباب الداعية

(١) قصة الزواج والعزوبة (٥٢).

(٢) تعدد الزوجات في الإسلام (٦٣).

(٣) تفسير المصباح (٢/٣٢٤-٣٢٥).

إلى التعدد. ففي هذه الحالات يستحسن للرجل أن يعدد بدل وقوع في مستنقع الرزيلة والفاحشة. ومثل هذه الحالات للتعدد هي حالات فردية أي أسبابها خاصة. وقد تكون موجبات التعدد دواعي عامة وهي تتحقق في ظروف الحرب حيث يزداد عدد النساء زيادة ملحوظة بسبب الضحايا الكثيرة من طرف الرجال في ساحات المعركة.

ولنجري مقارنة سريعة بين النظام الإسلامي والنظام الغربي الكفري في التعدد لتظهر عظمة الله ودينه ورحمته بالمرأة. إن التعدد عند الغربيين واقع بغير قانون وأنه لا يقع باسم الزوجات ولكنه يقع باسم الصديقات والخليلات. وليس مقتصرًا على أربع نساء فحسب بل إلى ما نهاية له من العدد. وهو لا يقع علنا لتفرح به الأسرة ولكن سرا لا يعرف به أحد. وهو لا يلزم صاحبه بأي مسؤولية مالية نحو النساء اللاتي يتصل بهن بل حسبه أن يلوث شرفها ثم يتركها للخزي والعار والفاقة وتحمل آلام الحمل والولادة غير المشروعة، وهو لا يلزم صاحبه بالاعتراف بما نتج عن هذا الاتصال من الأولاد، بل يعتبرون المواليد مجهولي النسب.

هذا يدل على أن التعدد الغربي تعدد تبعث عليه الشهوة والأنانية، ويفر من تحمل المسؤولية. لذلك؛ قد شهدت ملكة جمال العالم «miss universe» أني بيزنت كما نقله محمد جميل زينو في (عظمة الإسلام)، فهي تعترف بمحاسن تعدد في الإسلام وقالت: متى وزنا الأمور بقسط العدل المستقيم؛ ظهر لنا أن تعدد الزوجات الإسلامي الذي يحفظ ويحمي ويغذي ويكسو النساء؛ أرجح وزنا من البغاء الغربي الذي يسمح بأن يتخذ الرجل امرأة لمحض إشباع شهواته، ثم يقذف بها إلى الشارع متى قضى منها أوطاره^(١).

وإذا كانت الكافرات تشهدن على حسن التعدد في الإسلام بهذه الشهادة البالغة، فما بال المسلمون ينكرونها ويمنعونها. كأنهم يتبجحون على الله وشريعته ويتطالون على الله وجلاله، وعلى منهجه. كل أولئك يقولون في هذا الأمر بالجهالة والعمى. قد تسلط عليهم الهوى والشهوة حتى تعوقهم عن التعامل الموضوعي مع النظام التعدد الإسلامي.

لم تتسلط تلك الشبه التي يثيرها الغربيون نحو نظام تعدد الزوجات على فكرة قريش شهاب، ولم يتأثر بها مع أنه عاش في عصر اشتد فيه الجدل كثيرا حول موضوع تعدد الزوجات. وهذا النظام ما زال مثار نقد وطعن ومادة للهجوم على الإسلام عند الغربيين وعند من تأثر بأفكارهم. ومع ذلك؛ لم يرفض شهاب نظام التعدد، بل حاول إعطاء البيان

(١) مجموعة رسائل التوجيهات الإصلاحية لإصلاح الفرد والمجتمع (٥٧).

والعلل حول هذا النظام لكي يعلم كل قارئ لتفسيره أن نظام التعدد نظام إلهي محكم لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه. هذه الفكرة تتناسب مع فكرة تعظيم الله، ومن خلالها أدرك قريش شهاب أن التعدد في الإسلام نظام رباني ونظام أخلاقي إنساني.

٢- القوة

إن الإنسان سيصيب بالوهن والمذلة إذا كانت أسباب القهر والاستبداد تتسلط على نفسه، سواء كانت هذه الأسباب داخلية أو خارجية. كل شخص يقع تحت تأثير تلك الأسباب سيورث ضعفًا في نفسه ووهنًا في إرادته. أمّا المعظم لله، والمحقق لتوحيده يكون مسلمًا لله وحده فيما يأمر وينهى، وفيما يشاء ويُقدّر. وذلك؛ ما يورث في نفسه تحررًا كاملاً من الأسباب المكبلة لإرادته. يستشعر عزّة وقوّة في نفسه حتى تحرر آراؤه وأفعاله من كل متسلط داخليًا كان، وخارجيًا، بل ينظر إلى تلك الأسباب نظرة استعلاء عليها، واستصغار لها، حتى تحفز في نفسه النزوع إلى المقاومة والجهد ليقطع الطريق على كل مستبد ومتسلط.

فقد ولد قريش شهاب سنة ١٩٤٤م، وهذا يعني أنه قد عاش في العصر النضالي والكفاحي الشعبي في إندونيسيا في مواجهة الاحتلال والسعي لنيل الاستقلال المطلق للدولة^(١). وأن الظروف السياسية في تلك الآونة كانت مضطربة جدًا. فليس لنا أن نتوقع فيها ظروفًا وحالة اجتماعية ثابتة مستقرة؛ إذ لا يمكن أن تستقر الحياة الاجتماعية في ظلّ الواقع السياسي المضطرب الذي عمّت فيه الفوضى، وانتشرت فيه الحروب الطاحنة المدمرة للأرواح وموارد الاقتصاد. وكان الجهل والاعتقاد بالخرافات والمغيبات سائدًا بين العوام في المجتمع الإندونيسي؛ لأنهم لا ينالون حظهم الكافي من الدراسة وتحصيل العلوم لا يحظى به إلا نفر قليل وأشخاص معينون؛ لأنّ المحتال دائمًا لا يبالي بتقدم البلاد وثقيف أفراد الشعب الذي احتل أرضه ونهب ثرواته^(٢).

وعصر تأليف تفسير المصباح هو عصر الأزمات، سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية. وبدأت هذه الأزمات بتنازل رئيس الحكومة الإندونيسية حينذاك وهو محمّد

(١) Nationalism And Revolution In Indonesia, George McTurnan Kahin, p 156-157.

(٢) Darul Islam Sebuah Pemberontakan, Cornelis Van Djik, p. 49.

سوهارتوا عن سُدة الرِّئاسة في السنة ١٩٩٨، ثم عين نائبه وهو برهان الدين يوسف حبيبي ليكون بديلا عنه. ولم يمكسك برهان الدين زمام الحكومة طويلا بسبب عقد الانتخابات العامة بتاريخ ٧ يوني ١٩٩٩ م^(١).

ومع كل ذلك، لم يصب شهاب بالوهن والضعف، بل استشعر القوّة والعِزّة في نفسه حتى نجح في تأليف مصنّفات كثيرة بلغت نيّفاً وستين مصنّفاً في مختلف العلوم. ومعظمها يدور عن القرآن وعلومه. بل سبب تأليف تفسيره هو أنّه أراد أن يساعد النَّاس على فهم وتدبر القرآن؛ لأنّه سراج للمسلمين في مواجهة مشكلات الحياة^(٢). وقد ذكر شهاب أنّ كثيراً من النَّاس لا يفهم القرآن جيّداً، وهناك من عندهم الرّغبة العالية لفهم القرآن، ولكن واجهتهم مشاكل أعاقتهم عن تحقيق مبتغاهم، منها ضيق الوقت وقلة العلوم الأساسية لفهم القرآن وندرة المراجع المناسبة من حيث الشّمولية والوضوح وعدم التّطويل.

أمام هذه المعوقات، لم يشعر شهاب بالضعف أو المذلة، بل حاول بجهدته تأليف كتاب التّفسير المسمى (تفسير المصباح). وقال أيضاً: ومن واجب العلماء أن يعرفوا بالقرآن، ويقدموه مضموناً وفكرةً ومنهجاً كما هو المطلوب^(٣)؛ إذ إنّ القرآن إذا دقّقنا النّظر والتّدبّر فيه، وحقّقناه بالتّطبيق والعمل به، ستكون فكرتنا وهويتنا وشعورنا موجهة ومهيئة لواقع وواحة الإيمان المبتغى لاستقرار واطمئنان الحياة الفردية والجماعية. وهذا هو القرآن من خلال التّعاش في ظلاله، استطاع تحريك وتهيج الشعور الإنساني والعقل الوجداني للعودة إلى فطرته السّليمة والأصيلة^(٤).

من خلال تعايش شهاب في ظلال القرآن، أدرك شمول عظمة الله في علمه وقدرته. أدرك أنّ القرآن يهتم بالمعاملات والاحتياجات الأساسية للإنسان، من الأكل واللباس والنكاح والشكر وصلة الأرحام والأخلاق. كما أنّه كذلك يهتم بالفرد والمجتمع من خلال دراسته للإنسان

(١) Peran Politik Poros Tengah Dalam Kancah Perpolitikan Indonesia، Untung Wahono، p. 12.

(٢) تفسير المصباح (١/٧).

(٣) المرجع السابق (١/٧).

(٤) Wawasan alQur'an: Tafsir alMaudhu'i Atas Berbagai Persoalan Umat، Muhammad Quraish Shihab p. 13.

والمرأة والمجتمع والأمة والدولة وأهل الكتاب^(١). وإلى جانب ذلك كله، فالقرآن يهتم بأبعاد النشاط الإنساني من الدين والفن والاقتصاد والسياسة والعلم والتكنولوجيا. ويهتم أيضا بالقضايا المهمة من الشورى والأخوة والجهاد والتكافل الاجتماعي وتقديس قيمة الوقت.

ومن ثقة شهاب بعظمة الله وإعجاز القرآن، عثر على معجزات القرآن في المستوى البياني والأبعاد اللغوية، حيث تكلم عن مميزات البيان القرآني وبروزها في فن وعلم السياقات القرآنية وأساليب الانتقال البلاغية من موضوع إلى آخر ومن حالة شعورية معينة إلى حالة أخرى. وقد عثر كذلك على الإعجاز العلمي، وذلك من خلال أمثلة المشهورة صارت الآن قضايا مدرسية، وكانت حينها مثار إعجاب المسلمين في جميع أنحاء العالم. ومن هذه القضايا العلمية خلق الجنين ومراحل تطوره، والإشارات القرآنية الموجزة والدالة دلالة دقيقة على كل مرحلة وسماتها العامة. لذلك قال شهاب عن حقيقة المعجزات: المعجزات لا توجه إلا المسلمين الذين يؤمنون بها، وليست موجهة لأعداء الإيمان فحسب، بل لتجعلهم مؤمنين بها، ويزداد الذين آمنوا إيمانا إلى إيمانهم^(٢).

من هنا؛ نعرف أن فكرة تعظيم الله يفتح آفاقاً للحق والخير للعبد المسلم لا سيما إذا سلك سبل الهداية ومجاهدة النفس وبإلزامها المعروف وتجنبها المنكر. فكلما زادت المجاهدة قويت البصيرة وعظمت معرفة الإنسان بالله، ثم بالنفس وبالعالم من حوله، ويفضي إلى زيادة الهداية والاستقامة على نهج الحق. فتعظيم الله هو محرك الإنسان إلى الخير والتمتعرف فيها. فهو مركز الاعتقاد والإرادة وموجه السلوك. ففكرة تعظيم الله هو مفتاح نجاح قريش شهاب في مكافحة ومواجهة المعوقات الموجودة في عصر الأزمات سواء كانت من ناحية اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية.

٤٢ وحدة الفكر والمعرفة

من مقتضيات تعظيم الله، أن يرى الكون وما يجري في من أحداث محكوما بقانون موحد، ألا وهو قانون الله تعالى وسنته في تدبير الكون. أن المؤمن المعظم بالله واثق بقانونه

(١) المرجع السابق (ixx).

(٢) Mukjizat alQur'an: Di Tinjau Dari Aspek Kebahasaan, Isyarat Ilmiah dan Pemberitaan Gaib, Muhammad Quraish Shihab.

وسنن تدبيره كما عنده ثقة بالله تمام الوثوق فهو دائما يلجأ إلى الله في أشد الظروف ويعتمد عليه اعتمادا كاملا. إذا رأى المعظم بالله الكون متوحدا في قانون سيره وانقلابه فإن هذا سيورث حسن الظن بكل المأمورات والمنهيات من الله، ويعتقد أن كلها جاءت لاستيفاء مصالح الناس في عاجلهم وآجلهم ورعي شؤونهم في معاشهم ومعادهم.

إن للشريعة الإسلامية خصائص تتميز بها عن الشرائع الأخرى وهي أنها من عند الله، ويترتب على هذا كمالها وخلوها عن معاني النقص والجهل والهوى لأن صفات الصانع وهو الله تظهر فيما يصنعه. ولما كان الله الكمال المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله، فإن أثر هذا الكمال يظهر فيما يشرعه من أحكام ومناهج وقواعد، وبالتالي لا بد أن يكون كاملا. وهذا بخلاف ما يصنعه الإنسان ويشرعه فإنه لا ينفك عن معاني النقص والجهل والهوى والظلم^(١).

ويترتب أيضا على كون الشريعة من عند الله تظفر بقدر كبير من الهيبة والاحترام والتعظيم من قبل المؤمنين مهما كانت مراكزهم الاجتماعية وسلطاتهم الدنيوية لأن كل هذه لا تخرجهم من دائرة التعظيم والخضوع لله تعالى واحترام شرعه. لذلك كل المعظم بالله والعلماء قد اتفقوا على من استهزأ بشريعة الله وأنكر منها شيئا متفقا عليه فإنه كافر يخرج عن الملة، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

عندما فسر هذه الآية الكريمة أورد شهاب أقوال العلماء ومنهم محمد سيد طنطاوي وحسين مخلوف وكلاهما كانا مفتيا في جمهورية مصر العربية، وهما يقولان: إن هذه الآية موجّهة إلى المسلم، ثم قال: إن كلمة الكفر إذا وصف بها المؤمن فمعناها العتاب الشديد، وليس الكفر المخرج عن الملة. ولخص شهاب فقال: وأخيرا يمكن تلخيص الموضوع في أن هذه الآية تؤكد أن من استهزأ بأحكام الله ومنع تطبيقها فقد كفر كفرا مخرجا عن الملة^(٢).

وقال شهاب: إن الشريعة الإسلامية تتناول أحكام وشرائع الله عز وجل التي ترشد وتوجه الناس إلى قطوف السعادة في الدارين: الدنيا والآخرة. وهذا الدور الأساسي من الشريعة يظهر جليا حين يكون المتمسكون بها يفهمون ويستوعبون حقيقتها ويعملون ويطبقون تعاليمها وأحكامها على الوجه الصحيح والمتقن في كل مجالات حياتهم. ولكن هذا الدور الأساسي معرض للفشل والخراب إذا كان الفهم والاستيعاب والعمل والتطبيق لا يجري على الشكل المراد ولا يأخذ نصيبه المفروض^(٣).

(١) محمد قريش شهاب منهجه وأفكاره في تفسيره المصباح (٢٤٥).

(٢) تفسير المصباح (٣/١٠٥-١٠٦).

(٣) Perempuan, Muhammad Qurashih Shihab, p. 135.

كل المعظم بالله يقر أن الشريعة تتصف بالشمولية. فهي شاملة بكل معاني الشمول من شؤون الحياة وسلوك الإنسان بلا استثناء ولا تخصيص وهي شريعة في العقيدة والأخلاق والعبادة، وتنظم علاقة العبد بربه وعلاقته بالخلائق فيما حوله، وتنظم كذلك العلاقة الأسرية والمعاملات وغيرها وكذلك علاقة الفرد مع الدولة.

ومنها أيضا أن الشريعة الإسلامية عامة لكافة الناس ولم تأت لطائفة معينة منهم أو لجنس خاص من أجناسهم، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. لما لفكرة تعظيم الله لدى شهاب، لم يخرج شهاب تصوراته عن دائرة فكرة علماء المسلمين، بل هو معهم في كثير من الأمور واجتهادات. أمّا العقل غير معظم بالله؛ فلا تتأتى له هذه الوحدة؛ لأنه لم يملك انضباطاً في البحث عن الحقائق حتى تناقضت معارفه مع بعضها.

الخاتمة

ويمكن أن نشير في خاتمة هذا البحث إلى:

١- يعد محمد قريش شهاب بن الحاج عبد الرحمن شهاب من علماء التفسير ومن كبار الأساتذة الجامعيين في قسم التفسير. وكتب تفسير المصباح باللغة الإندونيسية واسمه الكامل هو: "TAFSIR ALMISHBAH: PESAN KESAN DAN KESERASIAN" ALQURAN.

٢- مصنفات قريش شهاب حول القرآن دليل جلي على كيان فكرة تعظيم في شخصية قريش شهاب.

٣- أن فكرة تعظيم الله لها آثار إيجابية لقريش شهاب. من خلال هذا البحث، نجد أن هذه الفكرة تعين شهاباً على إدراك علل وحكم نظام تعدد الزوجات. ولم يتأثر بفكرة الغربيين الذين يطعنون هذا النظام بظلم وإشباع الشهوة وغير ذلك من ادعاءات غير صحيحة حتى تحجب فكرتهم دور هذا النظام، وأهميته للمجتمع سواء كانت إسلامية أو غير إسلامية.

٤- أن فكرة تعظيم الله تصون قريش شهاب من الأسباب التي سيورث ضعفا في نفسه ووهنا في إرادته. مع أن شهاب عاش في عصر الأزمات، ولم يتأثر به، بل نجح في تأليف تفسيره نتيجة إرادته في بيان عظمة كلام الله تعالى، ومدى تعلقه بحياة المسلمين عامة. لم يتوقف شهاب عن تأليف تفسيره؛ لأنه علم أهمية التعايش في ظلال القرآن.

٥- من خلال فكرة تعظيم الله، لم تخرج آراء قريش شهاب عن دائرة المفسرين المحافظين على قداسة النص القرآني. ولذلك لم يكن له رأي خاص ومخالف للعلماء في مدى صلاحية الشريعة الإسلامية للتطبيق، بل هو معهم في هذا الشأن من القول بوجوب قبول حكم الله تعالى.

المصادر والمراجع

- ١ - اشتقاق أسماء الله، المؤلف: عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، المحقق: عبد رب الحسين المبارك، الناشر: مؤسسة الرسالة، سنة النشر: ١٤٠٦هـ
- ٢ - تعدد الزوجات في الإسلام، مؤلف: محمد بن مسفر بن حسين الطويل، الناشر: دار أم القرى للطباعة
- ٣ - تفسير أسماء الله الحسنی، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، المحقق: أحمد يوسف الدقاق، الناشر: دار الثقافة العربية
- ٤ - التوقيف على مهمات التعاريف، المؤلف: زين الدين محمد المناوي، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م
- ٥ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م
- ٦ - الجامع الصحيح المختصر، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، المحقق: تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، الناشر: دار ابن كثير، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- ٧ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٥هـ.
- ٨ - زهرة التفاسير، المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، الناشر: دار الفكر العربي.
- ٩ - الشامل في أصول الدين، المؤلف: أبو المعالي عبد الملك الجويني، المحقق: علي سامي النشار، الناشر: مطبعة المعارف، الطبعة: ١٩٩٩م.
- ١٠ - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: إسماعيل بن حماد الجوهري، المحقق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- ١١ - العظمة، المؤلف: عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني، المحقق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الناشر: دار العاصمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

- ١٢- قصة الزواج والعزوبة في العالم، المؤلف: علي عبد الواحد وافي، الناشر: مكتبة نهضة، الطبعة: ١٣٩٥ هـ.
- ١٣- لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور، الناشر: دار صادر، الطبعة: الأولى.
- ١٤- مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المحقق: أنور الباز وعامر الجزار، الناشر: دار الوفاء، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م.
- ١٥- مجموعة رسائل التوجيهات الإصلاحية لإصلاح الفرد والمجتمع، المؤلف: محمد بن جميل زينو. الناشر: دار الرسالة، الطبعة: ١٤٢٥ هـ.
- ١٦- محمد قريش شهاب منهجه وأفكاره في تفسيره المصباح: دراسة تحليلية نقدية لمحمد نجيب عبد القادر، رسالة دكتوراة، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، ٢٠٠٨ م.
- ١٧- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، ١٣٩٣ ١٩٧٣ هـ.
- ١٨- معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، الطبعة: ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م.
- ١٩- منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ.

المراجع بالإنجليزية

- ١- Darul Islam Sebuah Pemberontakan, Cornelis Van Djik, ١٩٨٣, Terj. Grafiti Press
- ٢- Detik. www.detik.com/berita/17February1999
- ٣- Kajian alQuran di Indonesia dari Mahmud Yunus hingga Qurays Shihab, Howard M. Federsipel, ١٩٩٦, terj. Drs Tajul Arifin, Mizan>
- ٤- Membumikan alQuran, Muhammad Quraish Shihab, ١٩٩٢, Mizan

- ١- Menyatukan Kembali alQur'an dan Umat, Menguak Pemikiran M. Quraish Shihab, Arif Subhan, ١٩٩٣, Jurnal Ilmu dan Kebudayaan Ulumul Quran, No. ٥, Vol. IV
- ٢- Menyingkap Tabir Ilahi: Asma' alHusna dalam Perspektif alQuran, Muhammad Quraish Shihab, ١٩٩٨, Lentera Hati
- ٣- Mukjizat alQur'an: Di Tinjau Dari Aspek Kebahasaan, Isyarat Ilmiah dan Pemberitaan Gaib, Muhammad Quraish Shihab, ١٩٩٧, Mizan
- ٤- Nationalism And Revolution In Indonesia, George McTurnan Kahin, ١٩٩٥, terj. Nin Bakdi Soemonto, UNS Press & Pustaka Sinar Harapan
- ٥- Peran Politik Poros Tengah Dalam Kancah Perpolitikan Indonesia, Untung Wahono, ٢٠٠٣, Pustaka Tarbiatuna
- ٦- Perempuan, Muhammad Quraish Shihab, ٢٠٠٥, Lentera Hati
- ٧- Tafsir alMishbah: Pesan, Kesan dan Keserasian alQuran, Muhammad Quraish Shihab, ٢٠٠٤, Lentera Hati
- ٨- Wawasan alQur'an: Tafsir alMaudhu'i Atas Berbagai Persoalan Umat, Muhammad Quraish Shihab, ١٩٩٦, Mizan